مشتملة عليها ومكملة لها وبو يرواه ان في رواية ابي امامة ابن آدم انك لن تدرك
ما عندي الا باداء ما افترضته عليك او يجاب بان الانسان بالنوافل لمحض المحبة
لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض وقال الفاكهاني معنى الحديث انه
اذا ادي الفرايض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرها افضى به ذلك
الى محبة الله تعالى وفيه مستشكل ايضا كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد
وبصره في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويوثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح
ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى
ببصره الا ما امرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده
ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذي
يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى اخره قاله الفاكهاني
قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان
المصدر قد جا بمعنى المفعول مثلا فلان املي بمعنى مامولي والمعنى انه لا يسمع الا
ذكري ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي
ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلما ممن يعتد به
بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كانه
سبحانه تنزل عنده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي
يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته
وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقال الخطابي
عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعا والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها
انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الجيزي احد ايمة الطريق
قال معناه كنت اسرع الى قضا حوايجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده
في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل
الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى
يصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى عن ذلك وانه يفنى عن
نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه والموحد لنفسه والمحب
لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا على هذه الاوجه كلها لا
متمسك فيه للاتحادية ولا القايلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث
ولين سالني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا وقال العلامة
ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف
القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين ادا فرايضه والتقرب
اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله

الاخص واجب ما جو
منها انه ورد على سبيل
التمثيل والمعنى كنت
كسمعه وبصره

فاذا

فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه له فوق المحبة الاولى
فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام لغير محبوبه وملكت عليه روحه
ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا
لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلا المحبوب على محبه الصادق في محبته التي
قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان
ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وانيسه
وصاحبه والباء هنا للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار
عنها والعلم بها فالمسيلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد
لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوايجه ومطالبه فقال ولين
سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي في امتثال
اوامري والتقرب الى محابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله
به ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد
الرب سبحانه وتعالى في اماتته عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده
المومن ويكره مساته فمن هذه الجهة تقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته
فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه
ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو
الحبيب في الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد في حق الله غير جايز
والبدا عليه في الامور غير سايغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على
الهلاك في ايام عمره من اجل دا يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها
ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له
فيه فيتركه ويعرض عنه ولا له من لقايه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى
قد كتب الفنا على خلقه واستاثر بالبقا لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت
رسلي في شي انا فاعله كترددي اياهم في نفس المومن كما روي في قصة موسى
عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد
اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به
وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة
الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد
اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته
للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما
عنده والشوق اليه والمحبة للقايه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة
الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا

Copyright © King Saud University